Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9)Issue (2)February(2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الأساليب الأنشائية في كتاب لفتة الكبد إلى نصحية الولد لابن الجوزي ت ٥٩٧ دراسة بلاغية

م. م انعام احمد شنان

ماجستير اللغة العربية (الادب)

وزارة التربية /مديرية تربية بغداد / الكرخ الثالثة

Structural methods in the book l-Fatta Labad to advise the boy A rhetorical study by Ibn al-Jawzi (d. 597 AH)

A.l. Enaam Ahmed Shanan
Master's in Arabic Language (Literature)
Ministry of Education / Baghdad Education Directorate / Third Karkh
enaamahmed9042@gmail.com

المستخلص :

يعنى هذا البحث في تتبع حضور الأساليب الأنشائية التي تضمنتها نصوص الكتاب عبر قراءة تحليلية بلاغية والكشف عن مكنوناتها الداخلية وما تضمره من جماليات بلاغية التي تسبغ على القول عمقاً جمالياً توقظ في نفس المخاطب أثراً وجدانياً فريداً في المجال الوعظي، فتمحورت الدراسة على تقصي اربعة انواع رئيسة هي (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء) عبر تحليل نماذج نصية تظهر دور كل اسلوب في تكوين القيم التربوية، وأن هذه الأساليب التي وظفها ابن الجوزي في كتابه لم تنحصر على البعد اللغوي بل ارتقت لتحقق مقاصد تربوية ووجدانية تظهر مهارة وتمكن ابن الجوزي في مجال التوجيه والارشاد، فجاء اسلوب الأمر موجهاً ومرسخاً لقيم العبادة والاخلاص، وأما اسلوب النهي فجاء محذراً من الانصياع لمطامع النفس ومكائدها، وأدى الاستفهام بنوعيه الحقيقي والمجازي وظيفة في اثارة وعي المخاطب متخطياً الاسلوب الاخباري التقليدي، وتجلى اسلوب النداء في توطيد الرابط العاطفي بين الأب وولده، و أن هذه الأساليب لا يمكن عدها بُنى شكلية فحسب بل هي ركائز اساس وظفها ابن الجوزي في خطابه لبلوغ الأهداف التربوية والأخلاقية فضلاً عن التوازن الدلالي الذي جعل الانشاء قدرة على احياء المعنى، ومن البلاغة عنصر فاعل في احراز المقصد الاصلاحي .

Abstract

This research aims to trace the presence of the constructive methods included in the texts of the book through an analytical and rhetorical reading and reveal their internal contents and the rhetorical aesthetics they contain, which give the statement an aesthetic depth that awakens in the soul of the addressee a unique emotional impact in the field of preaching. The study centered on investigating four main types (command, prohibition, interrogative, call) through analyzing textual models that show the role of each method in forming values.Educational methods, and that these methods that Ibn al-Jawzi employed in his book were not limited to the linguistic dimension, but rather rose to achieve educational and emotional goals that demonstrate the skill and mastery of Ibn al-Jawzi in the field of guidance and guidance. The style of command came as a directive and established the values of worship and sincerity, and as for the style of prohibition, it came as a warning against submitting to the ambitions and machinations of the soul. The traditional news style, and the appeal style was evident in consolidating the emotional bond between the father and his son, and these methods cannot be considered only formal structures, but rather are the basic pillars that Ibn al-Jawzi employed in his speech to achieve the educational and moral goals, as well as the semantic balance that.

المقدمة:

يعد ابن الجوزي من اعلام الوعظ والبلاغة إذ حُظي بمكانة رفيعة بين اقطاب علماء الفقه والبلاغة، وتكمن براعته في المزج بين الحكمة الشرعية ومهارة البلاغة، إذ يعد من الشخصيات الذين حملوا لواء الدعوة الى نشر قيم الاصلاح الاخلاقي والنهوض بوعي المجتمع ، إذ خلف أرثاً ضخماً في ميدان اللغة والدين والفكر الأدبي ومن بين كتبه يتجلى لنا كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) إذ يمثل هذا الكتاب انعكاساً لخلاصة تجربته الوعظية وتجربته الحياتية فُهوّ انموذجاً بليغاً ومتكاملاً للخطاب التربوي الناصح الذي يمزج بين التأثير العاطفي والنضوج الفكري، إذ لا تقتصر قيمة هذا الكتاب على محتواه الوعظي بل في براعته في توظيف الأساليب الإنشائية التي منحت النص قوة وحيوية وجاذبية لغوية فريدة، إذ سخر ابن الجوزي هذه الأساليب لتقديم خطاب مترابط جمع بين التأثير العقلي والتأثير النفسي وتبرز مكانة هذا الموضوع من أن الخطاب القائم على النصح والوعظ لا ينهض على نقل الاخبار بل يعول على الاستفادة من المعين المختزل في الأساليب الإنشائية بما تحمله من طاقة بلاغية التي توقظ لدى المخاطب يقظة فكرية شعورية تقوي من تواصله مع البعد الاخلاقي المكتنف في بنية الخطاب. والأساليب الإنشائية في كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) تتخطى كونها اساليب لغوية، بل كأدوات تربوية واخلاقية عمد اليها ابن الجوزي لإيقاظ ضمير ابنه ويثير فيه الشعور الديني.

أهمية البحث

١- تسليط الضوء على الدور البلاغي للنصوص التوعوية عند ابن الجوزي بعدها نصوصاً توظف الأساليب الإنشائية لتقوية قدراتها التعبيرية.

٢- بيان دور (الأنشاء) في صياغة الخطاب الوعظي التربوي وتفعيلهُ من أجل تحقيق الدور التربوي المرجو.

٣- التوجه نحو تحليل نصوص توعوية لم تخضع للتحليل من قبل .

أهداف البحث

١- الوقوف عند الأساليب الانشائية لنصوص كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) وتحليلها تحليلاً بلاغية.

٢- احتواء الكتاب على أساليب أنشائية غنية تستلزم تحليلاً بلاغيا والتي لم تحلل بعد .

٣- بيان الأثر الجوهري للأسلوب الأنشائي في دعم الأهداف الأخلاقية والايمانية.

منهج البحث

تبنى الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) لابن الجوزي واستجلاء اسراره البلاغية الكامنة في نصوصه.

الأساليب الإنشائية (الأطار التمهيدي)من الملاحظ أن البنية التركيبية تتألف فيها الصيغ الخبرية مع نظيرتها الصيغ الانشائية فتتلازم هذه الصيغ مع بعضها فتولد بناء دلالياً للمعاني المنشود بلوغها إذ ينظر إلى الأساليب الإنشائية بعدها اساليب ذات شكل تعبيري مغاير للاساليب الخبرية القائمة على معيار صواب القول أو بطلانه، وذلك ((لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به ،سُمي كلاماً انشائياً)) (١) والمراد بالانشاء ؛ ((إنشاه الله خلقَهٌ والأسم : النشات بالمد، عن ابي عمرو بن العلاء: وأنشأ يفعل كذا ابتدأ) (٢) .ويعرّف الانشاء على أنه : ((ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته نحو : اغفر وارحم فلا ينسب إلى قائله صدق أو كذب ... أو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظ به)) (٣)وعند تقصينا أثر دلالة الانشاء نلاحظه لا ينساب عن ((ايجاد لصيغة كلامية لا توجد دلالتها قبل النطق بها ، إذ يقصد المنشأ التعبير عن دلالة تحدث بنطقه بالتعبير الانشائي ، وهذا خلاف الخبر الذي يصف حقيقة يري بها المتكلم الى اعلام المخاطب بها ، ومن ثم يقول بلاغيون في تعريف الانشاء : وهو مالا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به)) (٤) .فيتوقف فحوى الأنشاء على كيفية النطق به وتحسين طريقته جنس الطلب ، إذ تنهض الأساليب الانشائية بدور محوري في تكوين النسيج الخطابي وتعيين مساراته الدلالية ؛ وعليه نجد أن تقصي هذه الأساليب ضرورة للكشف عن انعكاساتها في التنظيم الشكلي والدلالي، إذ تتسم بتفردها الذي يعزز من قدرتها من تمكين الخطاب من الوصول إلى غاية التأثيرية، فتوظف هذه الأساليب الانشائية بقصد استقطاب ادراك القارئ وارشاده صوب المقاصد الدلالية التي يتضمنها النص.فالاساليب الانشائية تعبرعن ((حاجة المبدع الملحة إلى تفاعل المتلقي معه لغرض المشاركة فهي تخلق في اللغة حيوية تجذب القارئ اليه)) (٥) .وقد ذهب البلاغيون إلى أن الصيغ الإنشائية في اقوالنا لا تقوم على نظير واحد بل تتوزع على نظيرين هما: (الانشاء الطلبي – الانشاء غير الطلبي) كما أكد ذلك الخطيب القزويني بقوله :)) الانشاء ضربان طلبي وغير طلبي(٦).

١-الانشاء الطلبي: ((هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب كالأمر ، النهي ، الاستفهام ، التمني ، النداء). (٧)

٢- الانشاء غير الطلبي -: هو ((ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب كصيغ المدح والذم ،والعقود ،والقسم، والتعجب ، والرجاء ،ورب، ولهل، وكم الخبرية)) (٨) ويبنى هذا البحث على دراسة الأساليب الطلبية، لما تتماز به من امكانات دلالية تقوم بالكشف عن مكنونات النفس معبرة عما ينازع داخلها من احاسيس و انفعالات، فضلاً عن ما تضيفه من ثراء لغوي يتضح في تباين الأساليب التي تسهم في تعميق الوعي الدلالي للمتلقي. ولقد اظهر ابن الجوزي براعة واضحة للعيان ، فجاءت متآلفة مع مقاصده الفكرية ، فوظفها، لتكون أداة معبرة عن حالته الشعورية تظهر مدى غورتجربته النفسية. ومن الأساليب الانشائية التي اعتمدها (اسلوب الأمر – النهي – الاستفهام– النداء) .

اولاً: اسلوب الأمر:يعد اسلوب الأمر من الأساليب التي شغلت حيزاً كبيراً إذ عُرف أنه ((طلب حصول الفعل من المخاطب، وإن كان حقيقياً ، فأنه يكون على سبيل الاستعلاء والالزام، أما إذا تخلف احدهما او كلاهما ، فأنه يخرج من معناه الحقيقي، ويكون أمراً بلاغياً)). (٩)فالدلالات البلاغية التي يكشفها اسلوب الامر هي (الدعاء ، الالتماس، التمني، النصح التعجيز، التسوية ، الاباحة ...) ولم ينحصر أهتمام البلاغيين لبنية الأمر بعدها اسلوباً إنشائياً طلبياً بل ((تجاوزوها إلى كونها بنية توليدية، تحاول أن تنتج ما لم تتعود إنتاجه، وهذا المنتج يعتمد على تحول موضعي يخرج البنية عن (أصل المعنى) ، يتيح لها بانتاج معانٍ لسيت مهمتها الأصلية)) (١٠). ومن البديهي أن صيغ الأمر تتسم بغنى دلالي متعدد، وان هذا التباين الدلالي دقيق الا انه يظل ضمن السياق التعبيري فهو يتيح لنا استجلاء الطاقات التعبيرية المذهلة. وتذوق جماليات النص الأدبي، قد وظف ابن الجوزي اسلوب الأمر في كتابه (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) فمن الشواهد عن هذا الأسلوب قوله : ((اعلم يا بني وفقك الله إنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه استحضر عقلك واعمل فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف، وإن عليك فرائض مطالب بها والملكان يحصيان الفاظك ونظراتك وأن انفاس الحي خطاه الى اجله ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل) (١١) نجد أن اسلوب الأمر ورد بكثرة في هذه الوصية، فأضحى ركيزة اساس فيها ، إذ وضع افعال الأمر بما يتوافق مع البنية المرجوة لكل تعبير، فالنص فيه ارشادات ومواعظ تصبو إلى تعزيز الوعي الاخلاقي والديني في عقل وسلوك المتلقي، إذ وظف ابن الجوزي اسلوباً طلبياً لتحقيق الواجب الديني والالتزام الاخلاقي فجمع النص بين الأنذار الاخلاقي والوعظ والتوجيه العقلي مع تنظيم لغوي محكم يكشف عن مسؤولية الانسان عن اعماله أمام الحق تعالى فافعال الأمر (اعلم يا بني – استحضر عقلك – اعمل فكرك ، اخل نفسك ، تعلمْ بالدليل) لا تنحصر على صيغة الطلب، انما تحمل قوة توجيهية وتأثيراً نفسياً لدفع المتلقي نحو الانخراط العقلي والتفاعل الوجداني، فضلاً عن الأثر البلاغي لهذه الافعال فنجد التوكيد والإلزام التي جعلت الخطاب حيوياً وملزماً فضلاً من الايقاع والتكرار في افعال الأمر خلق ايقاعاً بلاغياً عزز من التأثير النفسي وجذب انتباه المتلقى فضلاً عن اعطاء النص قوة موسيقية يسرت للقارئ ادراك المعنى وتأكيد الاستجابة كما نجد صورة بلاغية وفي الاستعارة المضمرة في قوله : ((الحبس في القبور طويل)) فهو تعبير مجازي يظهر شدة العذاب وعظم الجزاء مما يعمق أثر التحذير في الخطاب. وبهذا يلتمس القارئ أن ابن الجوزي لم يزج باللفظة بدون علة بل التفت إلى توظيفها الأمثل لتبرز المعاني في اروع صورها الجمالية.كما نجد أسلوب الأمر ظاهراً في قوله : ((انتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك --- واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة واستقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة، ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل)) . (١٢)فجاء اسلوب الأمر في هذا الموضع اسلوباً ينهض بوظيفة الارشاد والتوجيه لا أمراً الزامياً مباشراً، إذ يراد به ايقاظ الوعي الداخلي، كما أن تتابع صيغ الأمر في نسق متكامل أكسب الخطاب ايقاعاً موعظياً بالغ الأثر، يشعر القارئ بأنه أمام مرشد صادق يسعى إلى تهذيب المخاطب والارتقاء بسلوكه، فضلاً عن التدرج الخطابي فتوالت الأوامر في نسق منطقي لتقود المخاطب من الانتباه مروراً بالندم الذي هو بداية للاصلاح ثم التوجه الى الاجتهاد في طلب مراتب الكمال إلى استغلال الوقت ثم تقويم الذات والاستذكار وعدم تكرار الغفلة وصولاً إلى التعلم من الموعظة.فأدى اسلوب الأمر في هذا النص أدواراً بلاغية متنوعة منها دور التنبيه الداخلي و دور اقامة الحجة الاخلاقية وتسويغها منطقياً ودور التضخيم والتهويل لابراز عظمة المعنى وهذا ما نجده في قوله ((استقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة)) (١٣) ففيه صورة بلاغية في (غصنك) كناية عن الشباب او النفس القابلة للتقويم والرطوبة تعبير عن قابلية النفس للتغير قبل ان تفقد الرغبة والعزيمة ويخبو الحافز ، فأسلوب الأمر لم يكن مجرد أسلوباً انشائياً بل هومنبه خطابي يهدف إلى جلاء يقظة المخاطب وتوجيهه كما نجد اسلوب الأمر واضحاً في قول ابن الجوزي في روائع نصائحه التي نصح بها ولده في فضل العلم قوله : ((فاذا أعدت درسك إلى وقت الضحى الأعلى فصل" الضحى ثماني ركعات ، ثم تشاغل بمطالعة أو نسخ إلى وقت العصر، ثم عد الى درسك من بعد العصر إلى وقت المغرب ، وصل بعد المغرب ركعتين بجزأين فأذا صليت العشاء فعد الى دروسك)). (١٤) . يرسم لنا خطاب ابن الجوزي نظاماً يومياً لطالب العلم مبتدئا بتوجيهه إلى اعادة الدرس إلى وقت الضحى الأعلى وهو ايماء إلى موضوع الصفاء الذي يساعد على نقاء الذهن ورسوخ المعرفة ، ثم الأمر بالصلاة في وقت الضحى الذي يُعد دليل إلى أن التعبد يهيء الروح لاستقبال المعارف، ثم

يعقب بمواصلة الانشغال في المطالعة أو النسخ إلى ساعة العصر إذ يعدان اساساً في البناء المعرفي، فالنسخ يصون العلم من الفقدان والمطالعة تعد باباً إلى إثرائه . إن تعاقب أسلوب الأمر في هذا النص الأدبي ليس تجمعاً لفظياً خالٍ من وظيفة دلالية بل هو توظيف للخطاب في نظام توجيهي يجمع بين ايقاظ العزيمة، وتهذيب السلوك وضبط مساره، وبهذا يسمو الأمر من حلقة الالزام المباشر إلى مضمار ارشاد الوعي ، فيمنح الخطاب أثراً تربوياً وايحائياً فيرفده قوة وتأثيراً .ومن وصاياه المتضمنة (اسلوب الأمر) في اداء الحقوق قوله : ((وأد إلى كل ذي حق حقه، من زوجة وولد وقرابة، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب فلا تودعها إلا اشرف ما يمكن ، ولا تهمل نفسك ، وعودها أشرف ما يكون من العمل واحسنه، وابحث صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول اليه ، وراع عواقب الأمور يهن عليك الصبر عن كل ما تشتهي وما تكره وان وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر وذكر ما قرب الرحيل))(١٥)جاء النص حافلاً بأسلوب الأمر وهذا الأمر أضحى أداة بلاغية لتقويم الذات السلوكية للمتلقي عبر خطاب زاوج بين حده التنبيه والوعظ الرقيق فبدأ الخطاب بـ (أدّ كل ذي حق) ففعل الأمر (ادّ) جاء في دلالة الالزام الاخلاقي إذ نجد فيها أشارة تصويرية تكشف عن الحقوق بعدها مستحقات يجب ايفاؤها لأربابها وقوله ((وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب)) (١٦) (انظر) أمر بالاستدعاء الذهني وهو تعبير مجازي يراد به التدبر والتأمل لا مجرد الرؤية الظاهرة.وأما اسلوب الأمر في قوله : ((ابعث إلى صندوق القبر ما يسرك الوصول اليه)) (١٧) منح الخطاب صورة قوية عن التأهب للرحيل إذ يجعل من القضية الأخروية حاضرة في السلوك اليومي الذي يتيقن عن بصيرة وتيقظ وقوله : ((و إن وجدت من نفسك غفلة فأحملها إلى المقابر) (١٨) نجد تقدم الغفلة في عبارة شرطية بكونها سمة نفسية مضمرة تستدعي اليقظة، فضلاً عن مانراه من جمال الصورة البليغة في قوله (فأحملها) إذ صور الغفلة ، وكأنها كيان محسوس يحمل ويساق فنهض النص بسلسلة من الارشادات والمواعظ ، والتي نقلت الوعظ من خطاب عابر إلى فعل يدرك في الداخل كما نجد أن ابن الجوزي وظف اسلوب الأمر الدال ضرورة الالتزام بما يوجبه الخطاب ، وهذا ما نجده في قوله : ((وكن حسن المداراة للخلق مع شدة الاعتزال عنهم ، فإن العزلة راحة من خلطاء السوء ومبقية للوقار، فأن الواعظ – خاصة – ينبغي له أن لايرى مبتذلاً ولا ما شيئاً في السوق ولا ضاحكاً ليحسن به الظن فينتفع بوعظه ، فاذا اضطررت إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحلم عنهم)) (١٩) .فالنص يقوم على أوامر توجيهية قيمة فهي تضع للمتلقي حدوداً للتعامل مع الناس الذي يجمع بين لين المعاملة وشدة الاحتياط مع تقديم العزلة بعدّها ملاذاً للوقار، ووقاية من نقائص الخلق، والمتمعن في صيغ الأمر يجد أنها جاءت في نطاق النصح والارشاد ، فمنح الخطاب فاعلية اخلاقية تربوية عملت على ايقاظ الضمير وتقويم النفس الأنسانية.

ثانياً : أسلوب النهي يعُد اسلوب النهي واحد من البنى الأنشائية الجوهرية التي عول عليها الخطاب العربي لتهذيب السلوك وتعميق الوعي وتهذيب الافعال ، فقصُد به : ((طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء وهو الترك وله حرف واحد لا الجازمة)) (٢٠).فهو يحمل قوة ذات طابع ردعي تحت المخاطب عن عدم الاقدام على أمر قد يفضي إلى اضرار أو يستنكر حدوثه فقد لاحظ البلاغيون أن التعامل ((مع هذه البنية يستدعي حضور حالة شعورية وذهنية تبدأ فاعليتها في منطقة (الإثبات)، لأن (الكف) فعل يحصل بشغل النفس بضد المنهي عنه وهو ما يستدعي تقدم الشعور بالكفوف عنه)) (٢١)إن أهمية اسلوب النهي تكمن في قدرته تشكيل بنية اخلاقية داخل النص إذ يتخطى حدود المنع اللفظي بل يتعداه لينشئ أثراً نفسياً ودلالياً يعمق الانتباه ويستنهض البصيرة فضلاً عن أن هذا الاسلوب اتسعت دائرته لتتداخل حلقاته مع الدرس النحوي والبلاغي، كما أن النهي الحقيقي يخرج إلى أسلوب آخر هو(النهي المجازي) فتضمن على دلالية انمازت بتفردها الفني وجمالها الاسلوبي ومنها مفاهيم (الدعاء، التهديد ، النصح ، التأديب، الارشاد، الانذار استنهاض الهمم) وتجدر الأشارة إلى أن الاساليب حين تنحرف عن مدلولها المباشر إلى سياق مجازي لا يعود على العلاقات النحوية او الدلالية المستحدثة بين الالفاظ فحسب ، انما أريد بها لتكون على نطاق أوسع من ذلك بالاساليب التعبيرية المتعلقة بالاختيار ومقتضى الحال، فتخرج من كونها معنية لمعان آخرى غير المعنى الأصلي لتصل إلى حشد من الاعتبارات الدلالية والأسلوبية . (٢٢)ومن المواضع التي تضمنت اسلوب النهي التي ذكرها ابن الجوزي في وصيته لابنه في أن العمل والعلم مترابطان قوله : ((وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة فانك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعمله زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر، فلا تحظي الا بنية ولا تمشين إلا بنية، ولا تأكلن لقمة إلا بنية ومع مطالعة اخلاق السلف ينكشف لك الأمر)) (٢٣)في النص نجد تكرار أسلوب النهي في قوله (لا تحظى إلا، ولا تمشين إلا، ولا تألكنّ) وهذا التكرار له دلالات بلاغية متينة منها أن تكرار تركيب اسلوب النهي مع إلا منح النص ايقاعاً متناغماً عزز من قوته التعبيرية كما أن قصر الجملة وتركيزها عزز من الأثر البلاغي وأظهر الاسلوب الفني المحكم، كما نلاحظ التوافق بين الشكل الفني للنص ومضمونه يظهر التماسك الداخلي ويعزز من بلاغته ويرسخ المعنى في وعي المخاطب ، فالنص يشدد على ربط تصرفات الانسان بالنية الطيبة وجعله معياراً أخلاقياً لكل فعل ، محفزاً المخاطب على ضبط افعاله

وتنمية وعيه ، كذلك نجد أسلوب النهي في حثه على الحذر من الآفات كقوله : ((وعليك بالعزلة فهى اصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلساؤك الكتب والنظر فى سير السلف ولاتشتغل بعلم حتى تحكم ما قبل وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون فقد قال الشاعر :-

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام (٢٤)

وأعلم أن العلم يرفع الأرذال فقد كان خلق كثير من العلماء لا نسب لهم يذكر ولا صورة تستحس)) (٢٥)ففي قوله : ((لا تشتغل بعلم)) جاء اسلوب النهي في هذا النص على معنى التوجيه والتنبيه ولا يقصد به المنع الحقيقي، ففي النص تجده يحمل صورة بلاغية تصور المعرفة مسار متدرج، فلا يستساغ الارتقاء إلى الدرجة العليا إلا بإحكام سابقتها ومجيء اسلوب النهي في قوله: ((ولا تقنع بالدون)) فهو حث وتشجيع إلى السمو والتقدم في العلم فالمقصود هنا هجر القناعة باليسير من العلم بل الطموح إلى المراتب الأرفع والأكمل . فألخطاب في هذا النص يؤكد على حقيقة راسخة للمخاطب أن معيار السمو والرقي ليس شرف النسب بل بالمعرفة والبصيرة الثاقبة ، فينهض العلم بصاحب من درك (الارذال) إلى منازل المجد والعز يصبح الخطاب نصاً تربوياً متكامل البنية يؤسس للسلوك المعرفي السديد، ويتضح لنا أن وظيفة النهي أشد تأثيراً وأعمق نفعاً داخل البنية النصية، إذ يقوم بمنحها قوة تعبيرية تشكل الأطار السياقي وتغنيه وهذا ما نراه في قوله : ((فألزم نفسك يابني الانتباه عند طلوع الفجر ولا تتحدث بحديث الدنيا ، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من أمور الدنيا)) (٢٦).يبدأ الخطاب (بفعل الأمر) ليؤسس اشارة تربوية تجمع بين الشدة واللطف ترشد المتلقي إلى اليقظة ليُعد النفس لتلقي الارشاد والتوجيه ثم تلاه بأسلوب النهي في قوله ((ولا تتحدث بحديث الدنيا)) إذ جاءت صيغة النهي صيغة تهذيبية توجيهية هدفها صرف انتباه وعي المتلقي عن الملهيات الكلامية بما لا ينسجم في ذلك الوقت فيضطلع النهي بدور تقويم السلوك الكلامي وتوجيه بما يقتضيه قدسية الزمان ورفعة المقام ، إذ استمد تأثيره الاقناعي من منطق الاقتداء بالسلف الصالح لا من جهة الواجب وبهذا تحول اسلوب النهي من وظيفة انشائية إلى أداة بنائية فاعلة في بناء خطاب ارشادي تربوي ضم رقة العبارة وثراء الدلالة.وأما في وصاياه في الواجبات والهمة العالية قوله: ((ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسلْ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق ، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ولا يفوتك خير الا بمعصيته ، فمن الذي أقبل عليه فلم يركل مراد ، ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة)) . نجد حضور صيغة النهي في قوله : ((لا يفوتك خير)) فيشتمل على نهياً ضمنياً عن الاتكال على النفس وردعاً عن الركون إلى المخالفة أو التهاون في مقتضيات الطاعة، والمتمعن في النص يجد أن النهي سبق بفعل الأمر (فأسأل ، فالجأ) فهذا مكملا للأمر عين ما ينبغي ما يترك وما يقصد وهذا من لطائف التركيب البلاغي المحكم وبهذا يتحول اسلوب النهي إلى دعامة بنائية تشارك في رؤية اخلاقية وسلوكية تقوم على الاحساس بالافتقار وصحة توجهه والتحرز من كل ما يضعف روابط الصلة بمورد العطاء.(٢٧)

ثالثاً أسلوب الاستفهام:يحظى الاستفهام بمقام بارز بين الاساليب التركيبية إذ توظف دلالاته في صياغة المعاني وبناء الافكار، لما يحققهُ من قدرة تأثير فتضيف بعداً فنياً وجمالياً للخطاب إذ يغمر العقل بحالة من التفكير المتصل يفضي إلى التفاعل الحواري، وبهذا يغدو متبايناً عن الأساليب الأنشائية القائمة على اقتصار الحكم إلى المتحدث ، وقد تعددت تعاريفه في الدراسات فعرفه الجرجاني بقوله : ((الاستفهام : استعلام ما في ضمير المخاطب وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أولاً وقوعها فحصولها هو التصديق وإلا فهو التصور)) (٢٨) أو هو((طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى ادواته)) (٢٩) .وينبثق من هذا الأسلوب بنية خطابية تأخذ منحى سردياً، لأن بعض الاستفهام ينصرف إلى الاسلوب المجازي الذي يستدعي تصوراً دلالياً مخصوصاً ارسخ دلالة واقوى حضوراً في تشكيل النسيج التركيبي الذي هو ((بنية توليدية في المقام الأول ، تتجاوز فيها الصياغة دلالتها الأصلية لتنتج دلالات جديدة بمعونة قرائن الأحوال) (٣٠)وقد استخدم ابن الجوزي اسلوب الاستفهام في وصاياه في (الترغيب والترهيب) قوله ((اعلم ان انفاس الحي خطاه إلى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل ، فأين لذة أمس ؟ رحلت وأبقت ندماً، و اين شهوة النفس ؟ نكست رأساً، وازلت قدماء وما سعد من سعد إلا بخلاف هواه ، ولا شقى من شقى إلا بإيثار دنياه، فأعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد أين لذة هؤلاء ... وأين تعب أولئك ؟)) (٣١). ينفتح النص على التبصر والتدبر في جدلية الدنيا والآخرة ويستجلى الأثار التي تنتج عن عواقب مجاراة الأهواء مستخلصاً العبرة من تجارب الملوك بعدها حقولاً للعظة والاعتبار، فجاء الاستفهام فى هذا السياق لغرض بلاغي يتخطى طلب الجواب انما بعده وظيفة ايقاظية توقظ الضمير وتحفزه كما تنطوي بعض الاسئلة على معنى استنكاري ضمني ترفض التشبث بملذات فانية مثل ((اين لذة امسى)) و ((اين شهوة النفس)، إذ أن إسلوب الاستفهام حول الخطاب في قوله : ((اين لذة هؤلاء)) إلى صورة حية وهذه الصورة تتجسد امام القارئ الذي يستشعر بالخيبة والاندثار الذي يصاحب المتع الدنيوية، ومن النصوص المتضمنة أسلوب الاستفهام قوله : ((ومتى رايت

في نفسك فسلْ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفق فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خير إلا بمعصية، فمن الذي اقبل عليه فلم يركل مراد ؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ او حظى بغرض من أغراضه ؟)) (٣٢)ورد اسلوب الاستفهام في قوله : (ومن اعرض) ((ومن الذي اقبل)) ويقوم الاستفهام على التضاد الدلالي في (الاقبال – الاعراض ، نيل المراد – الخيبة وضياع الفرض) وهذا التضاد اعطى الخطاب ايقاعاً حجاجياً عمق من رسوخ المعنى ويشد الانتباه فادى الاستفهام وظيفة محورية نقلت الخطاب من حيز البيان إلى المشاركة الذهنية وذلك من خلال استحضار الشواهد فكل توجه خارج الاطاعة الالهية يواجه بالخسارة في الدنيا والآخرة ، ويظهر بطلان الاعتقاد بجني الفائدة بمعزل عن الامتثال الألهي ، وفي قوله : ((فقد كان السلف الصالح رحمهم الله يحبون جمع كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة منها قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله : دخلنا على عابد مريض، وهو ينظر إلى رجليه ويبكي ، فقلنا : مالك تبكي ؟ فقال : ما اغبرتا في سبيل الله ، و بكى آخر فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : على يوم مضى ما صمته وعلى ليلة ذهبت ما قمتها)) (٣٣) في هذا النص أدى الاستفهام دوراً جوهرياً في تشكيل الدلالة وتعميق الأثر الشعوري ففي قوله (مالك تبكي) لا يراد به الاستفهام الحقيقي يلتمس فيه الأجابة بل هو استفهام (انكاري تعجبي) إذ يتجه إلى الافصاح عن الدلالة العميقة للأسى من غير الوقوف عند المظهر الخارجي ، فأدى الاستفهام أثراً بلاغياً في قلب أفق توقع المتلقي، إذ يتجه توقع المتلقي إلى علة جسدية أو معاناة نفسية ، فيتجاوز الجواب الأفق الدنيوي إلى بعد أخروي، فالبكاء لم يكن تعبيراً عن الألم الجسدي بل هو ألم تقصير النفس في الطاعة والعمل وبهذا اسهم اسلوب الاستفهام في انتاج خطاب تربوي عميق جعل من السؤال اداة لايقاظ الحس الداخلي لطلب الجواب.

رابعاً : اسلوب النداء :اسلوب النداء هو (رفع الصوت بماله معنى والعربي يقول لصاحبه نادٍ معي ليكون ذلك أندى لصوتنا اي أبعدله)) (٣٤) اي اعلام المدعو للحضور الينا وجاء ايضاً بمعنى ((طلب اقبال المدعو إلى الداعي بحرف نائب مناب ادعو)) (٣٥) فيمثل اسلوباً فنياً يتعدى اطار الوضع اللغوي ويكسر أفق مقتضيات العرف ، لذلك يعد مصدراً غنياً بالمعاني والدلالات الفنية التي يستدل عليها عن طريق التأمل في السياقات المتنوعة التي يرد فيها . (٣٦)فهو من الأساليب الرفيعة والقيمة التي تكتظ بها اللغة العربية، إذ يكمن سر جمالها في تنوع ادواتها التي تتيح للمتحدث توظيفها لتوضيح المغزى، واثارة الانتباه ، وهذا أمر لا يخفى أثره في لفت انتباه المتلقي لما يبدعه المبدع في خلق صور لغوية معبرة فهو ((اسلوب متحرر من قيود كثيرة ، لإن منشيء النص والمتحدث يعبر بصور كثيرة من التعبيرات التي تنطوي تحت هذا الاسلوب)) (٣٧) وقد ينصرف النداء عن معناه الحقيقي إلى معاني بلاغية مجازية يتوصل اليهامن سياق الخطاب مثل (الاستغاثة – الزجر – الحسرة – الدهشة ...) ومن امثلة اسلوب النداء ما ورد في وصية ابن الجوزي فى حفظ الوقت وانتهاز اللحظات قوله : ((واجتهد يا بني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها ، واقتنع تعز فقد قيل : ((من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد)) (٣٨)في النص أدى اسلوب النداء حضوراً دلالياً بارزاً تجاوز حد التنبيه اللفظي لينهض في بناء خطاب تربوي اخلاقي ففي قوله ((يا بني)) وهو نداء للقريب إذ تعُد صيغة النداء (يابني) من الصيغ التي لها تأثير بالغ في النفس لارتباطها بالبنوة وما تحمله هذه اللفظة من الرعاية والمودة . و لم ياتِ هذا التوظيف جزافاً بل كان اختياراً مدروساً لاعداد المخاطب نفسياً ايذاناً للأخذ بالوصية ، فيتلقى الخطاب الذي ينطلق من توجيها ناصحاً لا توجيهاً ألزامياً، ولم يرد بالنداء هذا الاستدعاء او الانتباه بل انتقل إلى وظيفة بلاغية هدفها التحبيب ، وهو ما جعل الخطاب اكثر نفاذاً. وتأثيراً بعيداً عن الإلزام ، فجاءت نبرة الخطاب نبرة توجيه ونصيحة في الاجتهاد، وترك الذل وصيانة العرض والقناعة.ويرد اسلوب النداء في وصيته في صحة التقوى قوله: ((يا بني، ومتى صحتّ التقوى رأيت كل خير، والمتقى لا يرائي الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظه، واعلم يا بني أن يونس (عليه السلام) لما كانت ذخيرته خيراً نجا بها من الشدة)) (٣٩)جاء اسلوب النداء في ((يابني ، واعلم يا بني)) وهذا التكرار لشدّ الانتباه وجذب الفكر،وذلك ليهيء المتلقي ويجعله في حالة تأملية لاستقبال النصائح فبصحبة التقوى يبصر بها الانسان معاني الخير في مختلف أحواله فضلا عن الجمع بين الصفات المتضادة معنوياً في (التقوى – الرياء) (حفظ الوالدين – ايذاء الوالدين) يضفي على النص توازنا بلاغياً يحفز الانتباه ويعمق من قوة التأثير في نفس السامع، فحول اسلوب النداء الخطاب من الارشاد النظري إلى خطاب وجداني ذا أثراخلاقي.ومن النصوص التي ذكر فيها اسلوب النداء قوله : ((واخرج إلى المسجد. خاشعاً وقل في طريقك : ((اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، أني لم اخرج اشراً ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك اسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر ذنوبي)) (٤٠).جاء في النداء بصيغة (اللهم) وهو نداء تفرد به الذات الألهية وجاء عوضاً. عن قول ((يا الله)) وهو نداء محمل بالدلالات العميقة يتضمن التذلل والاستغاثة وبيان الافتقار المطلق، فُعد اسلوب النداء في تركيب الخطاب مرتكزاً بنائياً للخطاب التجبري ، إذ رسخ مقام العبودية ثم تدرج إلى الأخلاص ثم ينتهي بتحديد الغاية السامية المأمولة. إن طلب مرضاة الله(سبحانه وتعالى) والخوف من غضبه وسخطه يجعل الأنسان متوازناً نفسياً و اخلاقيا، فتكون حياته مليئة بالطمانينة والسكينة.

الخـاتمة

رصدت الدراسة في البحث أن كتاب (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد) لابن الجوزي يقام على رؤية بلاغية محكمة وظفت فيه الأساليب الأنشائية لتخلق خطاباً تربوياً جمع بين التأثير العاطفي والاقناع العقلي ومن أهم النتائج.

١ – انمازت وصايا ونصائح ابن الجوزي لإبنه بقوة البيان ووضوح المغزى، فجاءت الفاظه مشبعة بإحكام القرآن الكريم ومستنيرة بالهدي النبوي.

٢– تناوب أسلوب ابن الجوزي بين الأسلوبين (الخبري والانشائي) وهذا يدل على قدرته المتفردة في صياغة اسلوب فائق التميز متمكن من تطويع اللغة وتشكيلها في أطار فني متقن.

٣– وظف ابن الجوزي في كتابه اسلوب الوعظ والتذكير ، ولم ينحصر أثرها حدود الكلام الموجه إلى المخاطب بل شملت طريقته اثارة حرص المخاطب على السماع وقبول الموعظة.

٤– انتهج الحوار في (الأساليب الأنشائية) للنصوص على منطلق التدرج التصاعدي فهو يرتكز في استراتيجياته إلى إبراز الدليل التي يوظفه الكاتب لحمل المتلقي على تبني ما يحمله الكاتب من دلالات الامتثال لهديه.

٥– وظف ابن الجوزي في نصوص كتابه أسلوب الأمر إذا جاء الأكثر شيوعاً بالنسبة للأساليب الأخرى، فضلاً عن عدول بعضها عن دلالتها الأصلية. لتتضمن دلالات إضافية تنسجم مع سياق النص.

قائمة المصادر والمراجع

(اولا : الكتب)

١– الاساليب الإنشائية في النحو العربي، د. عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط هـ ، ٢٠٠١م.

٢ – اسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبد الله خضير، عالم الكتاب، الاردن، ٢٠٠٣.م.

٣ – الايضاح في علوم البلاغة جلال الدين القزويني، دار الكتب العلمية ، بيروت. ٤

٤ – البلاغة العربية قراءة آخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ١٩٩٧ .

٥–البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، تح محمد صلاح زكي، جامعة الأزهر، غزة ٢٠١٢ م

٦–البلاغة والاسلوبية مقدمات عامة، يوسف ابو العدوس، ط ١ ،الاردن ، ١٩٩٩م

٧–تحولات البنية في البلاغة العربية، د. اسامة البحيري ، دار الحضارة ، ٢٠٠٠م.

٨–جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، المكتبة العصرية ،١٩٩٩ .

٩– شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج ١

١٠–شرح التلخيص، العلامة سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ج ٢.

١١– الصحاح، لابي نصر اسماعيل بن حماد الجواهري، دار الحديث ، القاهرة

١٢– علم المعاني في الموروث البلاغي،د. حسن الطبل ،مكتبة الايمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٤م

١٣– علوم البلاغة البيان المعاني البديع، احمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤– الفروق اللغوية، لابي هلال العسكري ، تح جمال الدين عبد الغني، مؤسسة الرسالة، ط ا, ٢٠٠٢ م .

١٥– الكافي في علوم البلاغة، د. عيسى على العاكوب وعلي سعيد، مصر، الجامعة المفتوحة

١٦– لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، الامام الحافظ ابو فراج بن الجوزي، تح اشرف بن عبد المقصود مكتبة الامام البخاري ، ١٤١٢ ، ط ١.

١٧ – معترك الاقران في اعجاز القرآن، لابي الفضل جلال السيوطي، دار الباز للنشر،ج١١

١٨– معجم التعريفات، العلامة علي بن السيد الجرجاني ،تح. محمد صديق المنشاوي .

ثانياً : الرسائل

- دعاء الامام علي (عليه السلام) دراسة نحوية اسلوبية (رسالة ماجستير، محمد اسماعيل، دار الفضيلية، جامعة بغداد .

ثالثا : الهوامش:

١. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٢، ١٣:٢٠٠١

٢. الصحاح : لابي نصر اسماعيل بن حماد الجواهري، دار الحديث ، القاهرة ١١٢٦

٣. جواهر البلاغة، احمد الهاشمى، المكتبة العصرية ،١٩٩٩ : ٦٩.
٤. الكافي في علوم البلاغة، د- عيسى علي العاكوب، علي سعيد، مصر، الجامعة المفتوحة :٢٥٠.
٥. اسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عبدالله خضير عالم الكتب، الاردن، ٢٠١٣ : ٩٠
٦. الايضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١١٦
٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٦٩ .
٨. المصدر نفسه : ٧.
٩. البلاغة والأسلوبية مقدمات عامة، يوسف ابو العدوس، ط١، المملكة العربية الهاشية ١٩٩٩: ٥٨
١. البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية لونجمان ٢٩٣:١٩٩٧
٢. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد ،الامام الحافظ ابو فراج بن الجوزي ، تح ، اشرف بن عبد المقصود، مكتبة الامام البخاري ، ط ١ ، ١٤١٢هـ : ٢٨
٣. المصدر نفسه : ٣٨
٤. كتابة لفتة الكبد إلى فصيحة الولد : ٣٨
٥. المصدر نفسه : ٥٦
٦. المصدر السابق : ٧٦
٧. المصدر نفسه : ٧٦
٨. المصدر نفسه : ٧٦
٩. المصدر نفسه : ٧٦
١٠. المصدر نفسه : ٧٥
١١. شروح التلخيص، العلامة سعد الدين التفتازاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ج٢ : ٣٢٤
١٢. البلاغة العربية : ٢٩٧ .
١٣. ينظر البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، تح : محمد صلاح زكي، جامعة الازهر بغزة ، ٢٠١٢،١٧٩.
١٤. كتاب لفتة الكبد إلى نصيحة الولد : ٧٢
١٥. شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي / ج١، دار الكتاب العربي،بيروت : ٢٧٦
١٦. المصدر السابق : ٥٩
١٧. كتاب لفتة الكبد إلى نصيحة الولد : ٥٠
١٨. المصدر نفسه : ٣١
١٩. معجم التعريفات، العلامة علي بن السيد الجرجاني، تج : محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة : ١٨.
٢٠. علوم البلاغة البيان، المعاني البديع ، احمد مصطفى المراغي، دار الكتب العالمية بيرين : ٢٠٥
٢١. تحولات البنية في البلاغة العربية، د. اسامة البحيري، دار الحضارة ، ٢٠٠٠ : ١٠٥
٢٢. كتاب لفتة الكبد الى نصيحة الولد : ٢٨
٢٣. كتاب لفتة الكبد إلى نصيحة الولد : ٣١
٢٤. المصدر نفسه : ٣٨ – ٣٩
٢٥. الفروق في اللغة، لابني هلال العسكري ٣٩٥، تح. جمال عبد الغني، مؤسسة الرسالة ط ١ ، ٢٠٠٢ :
٢٦. معترك الأقران في اعجاز القرآن، لابي الفضل جلال الدنيا النسيوطي، دار الباز للنشر ج ١١ ، ٤٤٦
٢٧. ينظر، علم المعاني في الموروث البلاغي، د. حسن الطبيل ، مكتبة الايمان ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ : ٩٦
٢٨. دعاء الامام علي (عليه السلام) دراسة نحوية اسلوبية (رسالة ماجستير)، محمد اسماعيل جامعة بغداد : ٧٩
٢٩. كتاب لفتة الكبد إلى نصيحة الولد : ٦٢
٣٠. المصدر السابق : ٦٤
٣١. المصدر نفسه : ٥١ – ٥٢